المبحث الثاني

الخوارج في السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ

الخوارج في السُّنَّة المطهرة

يبدو الإعجاز النبوي وإعجاز السُّنَّة المطهرة في إخبار النَّبِيِّ ﷺ عن الخوارج والإشارة والتلميح إليهم وعلاماتهم، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن خالد الجهني: أنه كان في الجيش الذين كانوا مع عليٍّ -رضي الله عنه- الذين ساروا إلى الخوارج فقال عليٌّ -رضي الله عنه-: أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيءٍ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ[1] يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[2]، لَوْ يَعْلَمُ الجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قَضَى لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَا تَكِلُّوا عن العمل... وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا له عَضُدٌ،

---

(١) التراقي: جمع ترقوة، وهو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، والمراد عدم انتفاعهم بالعبادة.

(٢) أي: يخرجون خروج السهم إذا نفذ في الصيد المرميِّ وخرج من الناحية الأخرى.

وليس له ذراعٌ، على رأسِ عضدِهِ مِثْلُ حلمةِ الثَّدي، عَلَيه شَعَرَاتٌ بيضٌ... فتذهبون إلى معاويةَ وأهلِ الشامِ، وتتركون هؤلاء يخلفونكُمْ في ذَرَارِيكُمْ وأموالِكم... والله إِنِّي لأرجُو أَنْ يكونوا هؤلاءِ القومَ، فإنَّهم قد سَفَكُوا الدَّمَ الحَرَامَ، وأَغَارُوا عَلَى سَرْحِ النَّاسِ[1] فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ الله».

قال سلمة بن كهيل: فنَزَّلَنِي زيدُ بن وهب مَنْزِلًا حتى قال: (مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي... فقال لهم: ألقوا الرماح وسُلُّوا سيوفكم من جفونها؛ فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا[2] برماحهم، وسلوا السيوف وشجرهم[3] الناس برماحهم... قال:

وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان... فقال عليٌّ -رضي الله عنه-: التمسوا فيهم المخدج[4]...

---

(١) هي الأنعام التي ترعى، ولعل فيها السبب المباشر لقتالهم.
(٢) أي: رموا بها عن بعد.
(٣) أي: طعنوهم.
(٤) الذي تقدم وصفه بأنه له عضد وليس له ذراع.

فالتمسوه، فلم يجدوه...، فقام عليٌّ بنفسه حتى أتى أناسًا قد قتل بعضهم على بعض... قالوا: أخِّروهم فوجدوه مما يلي الأرض... فكبر، ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله...، قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين... والله الذي لا إله إلا هو لَسمعتَ هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: أي والله الذي لا إله إلا هو... حتى استحلفه ثلاثًا... وهو يحلف له[1].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال:

بعث عليٌّ -رضي الله عنه- وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر:

الأقرع بن حابس الحنظلي، وعيينة بن بدر الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان -قال فغضبت قريش فقالوا: أيعطى صناديد نجد ويدعنا؟ فقال رسول الله ﷺ «**إني فعلت ذلك لأتألفهم**»[2] فجاء

---

(١)النووي على مسلم جـ ٧ ص ١٧١، ورواه أبو داود جـ ٤ رقم ٤٧٦٨، وفي البخاري بعضه بنحوه جـ ٤ حسن ١٦٠، و جـ ٩ ص ١٥.

(٢)أستميلهم إلى الإسلام بما يحبونه من المال حتى يتم تفهمهم له.

رجل كثُّ اللحية، مشرفُ الوجنتين، غائرُ العينين، ناتئُ الجبين، محلوقُ الرأس، فقال: اتق الله يا محمد... قال: فقال رسول الله ﷺ «**فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟!**» قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله [يرون أنه خالد بن الوليد] فقال رسول الله ﷺ «**إن من ضئضئ[1] هذا قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[2].

وفي رواية عنه أيضًا -بعد أن ذكر قصة هذا الرجل- فقال عمرُ بن الخطاب -رضي الله عنه: يا رسول الله، ائذن لي فيه؛ أضرب عنقه، فقال رسولُ الله ﷺ «**دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، ينظر إلى نُصَيله[3] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصافه[1]**

---

(١)أي من عنصره وذريته.

(٢)النووي على مسلم جـ ٧ ص ١٦١ والبخاري جـ ٩ ص ١٢٩ وأبو داود جـ ٤ ص ٢٤٣.

(٣)النصل: حديدة السهم.

فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى فضيه فلا يوجد فيه شيء، وهو القدح[٢] ثم ينظر إلى قُذذه[٣] فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث[٤] والدم، آيتهم رجلٌ أسودُ، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البَضعة[٥] تدردر[٦] يخرجون على حين فُرقة من الناس[٧]».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عليًّا بن أبي طالب -رضي الله عنه- قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسولِ الله ﷺ الذي نَعَتَ[٨].

=

(١)الرصاف: بكسر الراء: مدخل النصل من السهم.

(٢)القدح: السهم قبل أن يُركَّب نصله.

(٣)القُذذ: بضم القاف ريش السهم.

(٤)الفرث: ما في الكرش.

(٥)البَضعة: بفتح الباء قطعة اللحم.

(٦)تدردر: تضطرب.

(٧)أي في حالة الفُرقة بين عليِّ بن أبي طالب ومعاوية -رضي الله عنهما.

(٨)النووي على مسلم جـ ٧ ص ١٦٥، والبخاري جـ ٩ ص ١٥، ورواه مالك في الموطأ باختصار ص ١٤٤ ط الشعب، وابن ماجه =

ومن ذلك كلِّه يتضحُ لنا مدى الإعجاز النبوي في التنبيه على الخوارج وجذورهم.

وحكى ابنُ الجوزي أن الخوارجَ قالوا لعبد الله بن خباب بن الأرتِّ: هل سمعتَ من أبيك حديثًا تَحَدَّثَهُ عن رسولِ الله ﷺ تُحَدِّثْنَاه...؟ قال: نعم سمعتُ أبي يُحدث عن رسولِ الله ﷺ أنه ذكر فتنةً، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فإن أدركتَ ذلك فكن عبدَ الله المقتولَ[1]، قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك تَحَدَّثَه عن رسولِ الله؟ قال: نعم؛ فقدَّموه على شفير النهر[2] فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعلٍ[3] وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها وكانت حُبْلَى[4].

ولهذا قاتلهم الإمام عليٌّ وأمامه الحجة والدليل على أنهم المقصودون بالأحاديث النبوية الشريفة ولقد بينت السُّنَّة

=

مختصرًا جـ ١ ص ٣٨، ،أحمد بنحوه جـ ٣ ص ٤، ٣٣.

(١) وفي رواية: «فمن استطاع أن يكون مقتولًا فلا يكونن قاتلًا».

(٢) شاطئ النهر.

(٣) أحد سيُوره التي تكون على وجهه.

(٤) ابن الجوزي، تلبيس إبليس ص ٩١.

الصحيحة هذا الأمر عن الخوارج ومناقشة عليٍّ لهم.

فعن عبد الله بن عياض بن عمرو القاري أنه جاء عبد الله بن شداد بن الهاد فدخل على عائشة -رضي الله عنها- ونحن عندها جلوس- مرجعه من العراق ليالي قُتِلَ عليُّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقالت له: يا ابن شداد بن الهاد...! هل أنت صادق عمَّا أسألك عنه؟ حدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليٌّ، قال: وما لي لا أصدقك؟ قالت: فحدثني عن قصتهم... قال: فإن عليَّ بن أبي طالب لما كاتب معاوية وحكم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قرَّاء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء من جانب الكوفة... وأنهم عيبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميصٍ كساكه الله، واسمٍ سماك الله به[1].

ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حَكَمَ إلا الله... فلما بلغ عليًّا ما عيبوا عليه وفارقوه عليه... أمر مؤذنًا فأذن أن لا يدخل

---

(١)حيث أبَى الشَّاميُّون أن يقبلوا كتابه: (هذا ما قضى عليه أمير المؤمنين على معاوية) واشترطوا كتابة علي فقط دون لقب أمير المؤمنين، فقبل ذلك حقنًا لدماء وأملًا في إحلال الصفاء واقتداء برسول الله ﷺ في الحديبية.

على أمير المؤمنين إلا من قد حمل القرآن، فلما امتلأت الدار من قُرَّاء الناس... دعا بمصحفٍ إمامٍ[١] عظيمٍ فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده[٢] ويقول: أيها المصحف حدث الناس... فناداه الناس... يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد من ورق يتكلم بما رأينا منه فما يزيد... قال: أصحابكم أولئك الذين خرجوا بيني وبينهم كتابُ الله[٣] يقول الله في كتابه في امرأة ورجل:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم حرمة أو ذمة من رجل وامرأة.

ونقموا علي أني كاتبت معاوية: كتبت علي بن أبي طالب... وقد جاء سهيل بن عمرو فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم... قال: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال وكيف نكتب؟ قال سهيل: اكتب باسمك اللهم... فقال رسول الله ﷺ فاكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا.. يقول الله

---

(١)أي مصحف من المصاحف التي فرقها سيدُنا عثمان على الأمصار وجمع عليها المسلمين.

(٢)ينقر عليه بيده.

(٣)الذين يدَّعون التمسك به دون سواه.

تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١] فبعث إليهم ابن عباس... فخرجت معه... حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء فخطب الناس فقال: يا حملةَ القرآن... هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فليعرفه، فأنا أعرفه من كتاب الله هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله[١]... قال: فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه الكتاب -أي: لنوافقنه في الاحتكام إلى كتاب الله- فإن جاء بالحق نعرفه لنتبعنه.. وإن جاء بباطل لنبكتنه[٢] بباطل ولنردنه إلى صاحبه... فواضعوا عبد الله بن عباس ثلاثة أيام... فرجع منهم أربعة آلاف تائب فيهم ابن الكواء[٣] حتى أدخلهم على الكوفة، فبعث عليٌّ إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتهم فقفوا حيث شئتم بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا أو تقطعوا سبيلًا، أو تظلموا ذمة فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا

---

(١) وهذا يعني أن أبن الكواء كان يريد أن تظل الفتنة قائمة والخلاف مشتعلًا ويحاول إغلاق كل محاولة للتفهم أمام ابن عباس.

(٢) التبكيت: التحقير وتقبيح الفعل.

(٣) لكن رجوع ابن الكواء لم يكن أكثر من تحايل وعدم إخلاص.

إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

قال: فقالت عائشة: يا ابن شداد فقد قتلهم.... قال: فوالله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء، واستحلوا الذمة... فقالت: والله...!! قال: والله الذي لا إله إلا هو لقد كان... قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثونه يقولون: ذا الثدية مرتين... قال: قد رأيته وقمت مع عليٍّ على القتلى... دعا الناس فقال: أتعرفون هذا -فما أكثر من جاء يقول: رأيته في مسجد بني فلان يصلي- ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذاك... قالت: فما قول عليٍّ حين قام عليه كما يزعم أهل العراق. قال سمعته يقول صدق الله ورسوله[1].

وعن أبي زميل سماك الحنفي، حدثنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- قال: لما خرجتْ الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستَّةُ آلاف فأتيت عليًّا فقلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر؛ لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم... قال: إني أخاف عليك... قلت: كلا... قال ابن عباس: فخرجت إليهم ولبِستُ أحسن ما يكون من حلل

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ١٥٢، ومجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢٣٥ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

اليمن... قال أبو زميل كان ابن عباس جميلًا جهيرًا.

قال ابن عباس: فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون، فسلمت عليهم... فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس... فما هذه الحُلَّة؟ قال: قلت: ما تعيبون عليَّ؟ لقد رأيت على رسول رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل ونزلت ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] قالوا: فما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند صحابة النبيِّ ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد[1] فقال بعضهم[2]: لا تخاصموا قريشًا فإن الله يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨].

قال ابن عباس: وأتيتُ قومًا لم أرَ قومًا قطُّ أشدَّ اجتهادًا منهم... مسهمة وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم... فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن ما يقول... قلت: أخبروني ماذا نقمتم على عليٍّ ابن عمِّ رسولِ الله ﷺ وصهره

---

(١) وهذا دليل على أنه لم يكن فيهم صحابي واحد.

(٢) وهو كما أشرنا من قبل ابن الكواء.

والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثًا، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكَّم الرجال في أمر الله وقال الله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] وما للرجال وما للحكم؟

فقلت: هذه واحدة... قالوا: وأما: الأخرى: فإنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنم... فإن كان الذي قاتل كفارًا لقد حل سبيهم وقتالهم. ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ قتالهم...

قلت: هذه اثنتان، فما الثالثة؟ قالوا: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين[1].

قلتُ أعندكم سوى هذا قالوا: حسبنا هذا ... فقلت لهم: أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله ومن سُنَّة نبيه ﷺ ما يردُّ قولكم... أترضون؟

قالوا: نعم... قلت: أمَّا قولكم حكَّم الرجال في أمر الله... فأنا أقرأُ عليكم ما قد رُدَّ حُكْمُه إلى الرجال في ثمن رُبع درهم في أرنب ونحوها من الصيد... فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ

---

(١) لأنهم -كما نعلم- يكفرون من خالفهم.

ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة: ٩٥]... فناشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأنتم تعلمون أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

وفي المرأة وزوجها قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥] فجعل الله حُكمَ الرجال سنةً مأمونةً... أَخَرَجْتُ عن هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسبِ ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم.

ولئن قلتم ليست أُمَّنا لقد كفرتم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٦].

فأنتم تدورون بين ضلالتين -أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة... فنظر بعضهم إلى بعض... قلت: أَخَرجْتُ من هذه؟ قالوا: نعم...

قلت: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون -أي بما ترضون الدليل القاطع المقنع- وأريكم... قد سمعتم أنَّ النبيَّ ﷺ يوم الحديبية كاتب سُهيلًا بن عمرو وأبا سفيان

بن حرب... فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ﷺ، فقال المشركون: لا... والله ما نعلم أنك رسول الله... لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك... فقال رسول الله ﷺ اللهم إنك تعلم أني رسول الله... أكتب يا عليُّ... هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه... قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة)[1].

ومن هذه الروايات المتشابهة في المعنى نلاحظ أنها روايات يكمل بعضها بعضًا ورجال هذه الروايات هم رجال الصحيح مما يكسب روايتهم القوة والصحة والصدق. ولعل الاختلاف في عدد من رجع من الخوارج وتاب يعود في المقام الأول إلى أن هناك بعضهم رجع عن اقتناع عقلي وقلبي، ومنهم من رجع في الظاهر ثم عاد إلى فكره الخارجي؛ لأنه مذبذب العقيدة مضطرب النفس... لكننا كما رأينا أن هذه الروايات جميعًا يكمِّل بعضها بعضًا فهي روايات صحيحة.

---

(١) الحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ١٥٠ واللفظ له، ومجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢٤٩، وقال رواه الطبراني وأحمد ببعضه، ورجاله رجال الصحيح.